

نماذج من مواقع عن المرأة العربية باللغة الفرنسية على الانترنت

تقديم عام:

حملت وسائل الإعلام والاتصال للعالم ظروفاً وفرصاً جديدة للتواصل والتحاور وطرح الآراء وشرح القضايا، وفرصاً للتغيير لم يسبق أن عرفها من قبل. وقد تكاثفت الجهود والدراسات في السنوات الأخيرة لوضع استراتيجيات للاستفادة من خياراتها الكثيرة. وكما حمل التلفزيون في الأربعينات رهانات كثيرة لمجتمعات العالم ظهرت الإنترنت بإمكاناتها الكبيرة في بداية التسعينات لتقدم وسائل وأساليب جديدة للتواصل طرحت تساؤلات كثيرة نتج عنها مخاوف كثيرة حول دور هذه الوسيلة في اختصار المسافات وإلغاء الحدود وتبديل أنواع العلاقات بين البشر.

هذه الوسيلة الجديدة للمعرفة والتواصل ينطوي استخدامها على السلبيات كما على الإيجابيات، لأن شبكة الإنترنت هي من أهم وسائل الاتصال اليوم التي يمكن الاستفادة منها لخدمة قضايا المرأة العربية، والتي يمكن استخدامها أيضاً للإساءة إلى هذه القضايا وتشويه صورة المرأة إلى أبعد الحدود، لذلك كان من المهم لنا أن نطلع على مواقع الإنترنت في هذا المجال وأن نلاحظ مواصفات الخطاب الذي تحمله.

إلا أننا بعدما بحثنا عن مواقع المرأة

مي عبدالله

العربية، قررنا أن نركز على المواقع باللغة الفرنسية التي استوقفتنا غزارتها وتشابه عناوينها ومقدماتها وحتى مضامينها، ولأننا مهتمون بما يقرأه أو يراه الباحث أو المتصفح الغربي أو أي إنسان يبحث باللغة الفرنسية عن معلومات أو مواقع تتعلق بالمرأة العربية، كان تساؤلنا: ماذا تقدم كل هذه المواقع؟ أي خطاب تحمله عن المرأة العربية؟ أي صورة يقدمها هذا الخطاب عن هذه المرأة؟ بأية عناوين وأية مقدمات وأية لغة وأية صور تثير المواقع اهتمام المستخدم للإنترنت وتجذبه إليها وتحاول إقناعه؟ ما هي مضامينها وهل تتميز عن مضامين الوسائل الاتصالية الأخرى؟ تلك هي الأسئلة التي شغلتنا ونحن نتصفح هذه المواقع، أما الفرضيات التي انطلقنا منها فهي:

أولاً، من ناحية، يمكن أن تتيح الإنترنت الفرصة للنساء العربيات للمشاركة بعضهن مع بعض ومع النساء في العالم في طرح ومناقشة القضايا التي تهمهن وتساهم في تصحيح صورتهم وفي إيصال حقيقتهم إلى العالم. ومن ناحية ثانية يمكن أن تُستغل هذه الوسيلة لترسيخ الصور الذهنية المنمطة عن النساء العربيات لأهداف سياسية وتجارية.

ثانياً، يمكن أن تلعب مفاتيح البحث على الإنترنت دوراً في توجيه عملية التصفح والبحث بما يخدم المصالح المادية وأحياناً الغايات السياسية لمن أنتجها.

ثالثاً، استخدم مُنشئو مواقع المرأة العربية باللغة الفرنسية هذه اللغة لغايات تجارية جنسية، لذلك استُبعد الخطاب الذي يشير إلى النساء العربيات المنتجات والمبدعات.

رابعاً، ان المرأة كما هي سلعة إعلانية على شاشة التلفزيون وفي وسائل الاتصال الأخرى، كذلك يمكن أن تُستغل كسلعة للبيع على شبكة الإنترنت.

بناء على هذه الفرضيات ارتأينا أن نتحدث في البداية عن خصائص الوسيلة الاتصالية التي نتناول خطابها، سلبياتها وإيجابياتها. ومن ثم نحلل عناوين ومقدمات مواقع المرأة العربية في مواقع البحث على الإنترنت وترتيبها، وقد اخترنا مفتاح «غوغل» مع الإشارة إلى أن النتائج لا تختلف كثيراً من مفتاح لآخر (مثل «ياهو»)، مع مقارنة لنوعية العناوين للمواقع باللغات الثلاث، العربية والفرنسية والإنكليزية. وأخيراً نحلل مضامين المواقع باللغة الفرنسية: لغة الخطاب، أساليبه، أنواعه. وبما أن أغلبية المواقع متشابهة في الموضوع والمضمون وحتى في الأسلوب، استطعنا أن نشمل في التحليل المواقع المئة الأولى كي نستنتج مواصفات هذه الأنواع من الخطابات عن المرأة العربية على الإنترنت.

الخصائص العامة للإنترنت:

إن دراسة خطاب الإنترنت عن المرأة العربية لا يمكن أن تتم من دون مرجعية تربط محتويات هذه المواقع بالقيم. فكما يقول د. عبد الرحمن عزي: «إن التأثير يكون إيجابياً إن كانت المحتويات وثيقة الصلة بالقيم، وكلما كانت الوثائق أشد كان التأثير إيجابياً. وبالمقابل، يكون التأثير سلبياً إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأية قيمة أو تتناقض معها، وكلما كان الابتعاد عن القيمة أكبر كان التأثير سلبياً أكثر».^(١)

من الباحثين من وجد في الإنترنت وفي وسائل الاتصال بشكل عام إيجابيات على اعتبار أنها تعزز القيم بما يعني تثبيت مواقف الفرد السابقة وإعطائها ألفة إضافية. وقد عالج «لازرفلد» هذا الموضوع في دراسته الميدانية وأشار في مقولته المعروفة إلى أن «وسائل الاتصال لا تغير آراء الناس ومواقفهم بقدر ما تعمل على تدعيم هذه الأخيرة».^(٢)

ومنهم من رأى أن أهمية هذه الوسائل تكمن في تدعيم الصور النمطية وترسيخ الصور الذهنية والمفاهيم والمواقف، إلى جانب دورها في التنشئة الاجتماعية التي يتم من خلالها اكتساب قيم المجتمع وثقافته، إذ إنها تُعتبر مؤسسات اجتماعية تقدم أحزمة ثقافية محلية أو وافدة.

ويعتبر علماء الاجتماع أن وسائل الاتصال تحتوي على أدوات التنشئة الاجتماعية، فكل نوع من محتوياتها يحدث تنشئة معينة، فالأخبار تساهم في التنشئة السياسية، والمضامين التعليمية تساهم في التنشئة التربوية، والمضامين الدينية تساهم في التنشئة الدينية، الخ...^(٣)

وتحقق شبكة الإنترنت إلى جانب وسائل الاتصال الأخرى الانسجام الاجتماعي ولمّ الشمل، كما يمكنها أن توسع دائرة الاستفادة من الثقافة، إذ تساهم في نشر المعرفة والثقافة في أنحاء العالم. وبيّنت «نظرية المحيط الواسع والمحيط الضيق» أن الإنترنت تعمل على توسيع المحيط الاجتماعي في المجتمعات المتميزة بقلّة التفاعل بينها وبالنزعة الفردية، وهي تعوض عن شبكة التفاعل الاجتماعي الغائبة في الواقع. وبفضل الإنترنت «يستطيع المرء الاطلاع على وجهات النظر المتعددة ويدرك ما يتميز

(١) عبد الرحمن عزي، «الثقافة وحتمية الاتصال: نظرة قيمية»، مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٩، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٣، ص. ٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص. ٢٦.

(٣) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، «الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي»، عالم المعرفة عدد ٢٦٥، ص. ٣٤٤.

به من خصوصيات ويميل إلى تقبل الآخرين على ما هم عليه من تمايز، فالفرد يعي ذاته ومجتمعه من الآخر والآخرين»^(٤).

وتقدم الإنترنت إمكانية تجربة عوالم قد لا تكون جاهزة في واقع الفرد المتعامل مع الوسيلة الإعلامية، فهي تنقل الفرد إلى عدة عوالم افتراضية تجعل هذا الأخير يبتعد إلى حين عن هموم الواقع ويجد التعويض في هذه المنظومة الافتراضية الخيالية. وقد بينت الدراسات أنها توفر ملجأ لمن ضاق بهم الواقع. وبمعنى آخر، فإن الفرد قد «يهرب» من الواقع فيجد ضالته في الإنترنت التي احتضنته لحظة الحاجة إلى عالم آخر يوفر له بعض الاستراحة إلى أجل ما. وأظهرت نظرية الإشباع والاستخدامات أن ما يجعل الجمهور شديد الارتباط بالإنترنت يتمثل بعملية الإشباع التي توفرها وسائل الاتصال. فالعلاقة بين الفرد ووسيلة الاتصال مسألة إلزامية في المجتمع المعاصر. وتشمل الاحتياجات التي تقدمها شبكة الإنترنت الاحتياجات المعرفية والعاطفية والاجتماعية واحتياجات تحقيق الذات والاحتياجات الترفيهية.

ومن الباحثين من وجد في الإنترنت بعض الجوانب السلبية في محتوياتها التي - على غزارتها- لا تتقيد بنظام من القيم. ويتمثل ذلك في تغييب القيم في المحتويات وبخاصة الترفيهية منها، إنما تُبنى على مبدأ ما يمكن أن يسوق إلى الجمهور الواسع. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن رغبات الجمهور وأذواقه عادةً ما تكون نتاج ما تعرضه الإنترنت، فإن عملية استثناء القيم في المحتويات تكون دائرية: فالإنترنت تعرض ما يرغب فيه المستخدم، والمستخدم يرتبط بالإنترنت التي تحقق له رغباته. وقد أدى ذلك إلى انتشار محتويات العنف والجنس وغيرهما في المواقع والصفحات ذات الطبيعة التجارية خاصة.

وتتضح محاولات كسب الجمهور الواسع على حساب النوعية. فالثقافة ارتقاء، أما ما تبثه الإنترنت على وجه الخصوص فإنه ثقافة سميت بالجماهيرية. وتعني الثقافة الجماهيرية تلك الثقافة التي تنتجها وسائل الاتصال التي تسعى إلى التأثير الدعائي وإحداث احتياجات وهمية أو حقيقية لدى الجمهور الواسع. وتتأثر هذه الثقافة في دلالتها كلما كان الهدف الوصول إلى الجماهير الواسعة. وقد اعتبر منظرو الثقافة أن هذه الأخيرة متأثرة بالعامل التجاري الهادف إلى استمالة الجمهور وإرضائه، بغض النظر عن طبيعة المحتوى الذي عادةً ما يتوجه إلى الرغبات الآنية والغرائز، فيكون الجمهور وسعته أساس نجاح البرامج، لا المحتوى بحد ذاته.

وأوردت النظرية النقدية أن وسائل الاتصال تُحدث تأثيرات معيارية استهلاكية

(٤) عبد الرحمن عزي، مصدر سابق، ص. ٢٩.

في المجتمع المعاصر: تعني المعيارية قولبة الثقافة بشكل بضائع متجانسة قابلة للاستهلاك العام.^(٥) فهل المرأة العربية هي من هذه البضائع القابلة للتجارة العالمية؟ لا سيما وأن محتويات الإنترنت ليست الواقع في حد ذاته، بل تشكل تعبيراً عن الواقع، ويحدث التأثير السلبي عندما يتم المزج بين العاملين فيصبح الافتراضي الذي تعرضه الإنترنت يؤثر في طريقة تصور الجمهور للحقيقة.

إن شبكات المعلوماتية تؤدي بحكم طبيعتها إلى إيجاد ما يسمى بالمجتمع الافتراضي virtual society الذي يتشكل من الأفراد الذين يتفاعلون باستمرار من دون ارتباط هؤلاء بثقافة أو مجتمع أو مكان محدد. «وكادت تكنولوجيا الواقع الخيالي أن تُسقط الحاجز بين الواقعي والوهمي، وبين الحاضر والغائب، وبين الاتصال مع كائنات الواقع الفعلي والكائنات الافتراضية التي تقطن فضاء المعلومات»^(٦). وبنتيجة طبيعة الوسيلة الاتصالية وغازرة الصور والمعلومات والمحتوى المتنوع، وإجراءات المضامين التي تركز على الغرائز البشرية الأساسية، تمارس الإنترنت التفكيك الاجتماعي، على اعتبار أن الزمن الذي يقضيه الفرد مع الشبكة يكون بالنتيجة على حساب التفاعل الاجتماعي المباشر. ومن الطبيعي أن يألف الفرد هذا النمط من الاتصال فيصبح مع الزمن انعزالياً ويعفي نفسه من المسؤولية الاجتماعية تجاه الآخرين، وهنا خطورة المحتوى عندما لا يكون ملتزماً بقيم المجتمع أو هادفاً لخدمة قضاياه، ونشير هنا إلى بروز بعض السلوكيات «المنحرفة» كالتحال الشخصية، والسرققة، والتجارة بالأشخاص كما في مواقع الجنس، وإلى أن كثافة استخدام هذه الوسيلة الخطيرة من شأنه أن يبعد الفرد عن قضاياه الخاصة المرتبطة بواقعه المعاش. من جهة أخرى، من مخاطر الإنترنت أيضاً أنها وسيلة لا تمكن السيطرة عليها وبالتالي لا ترتبط بقيادة الرأي والمفكرين شأن وسائل الإعلام والاتصال الأخرى. فقد تقلص دور هؤلاء حديثاً وأصبح الناشر مؤسسات إعلامية كبرى، وظهرت أنواع أخرى من قادة الرأي في مجالات خارجة عن الفكر والثقافة، وأصبحت وسائل الاتصال مؤسسات ضخمة تضم أعداداً من العاملين الذين يشاركون كمجموعة في إنتاج المادة الإعلامية وتسويقها^(٧).

أخيراً، إن بعض محتويات الإنترنت كالصور وأفلام العنف والجنس واللغة التي تخلّ بالقيم تعمل مع الزمن على إضعاف درجة الانفعال والمقاومة التي تتصاحب مع

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مصدر سابق، ص. ٣٤٥.

(٧) Margaret Mannix, "The Dark Side of the Internet", Newsweek, 28 August 2000, pp. 38-45.

هذه المحتويات في بداية أمرها. ويرى الباحثون أن تكرار الرسالة التي تخرج من سياق الثقافة قد يؤدي إلى إضعاف الحساسية ومن ثم لا يقوم المتلقي بنقد الرسالة أو الشك فيها. وإن شدة تعلق الفرد بالإنترنت قد يدفعه إلى التفريط في معالجة واقعه. فالإنترنت تشغله عن الاهتمام بعمله وإصلاحه أو تغييره، ويكون هذا التأثير سلباً على اعتبار أن هذه الوسيلة تحول انتباهه إلى قضايا قد تكون ثانوية على حساب ما يجري في محيطه المباشر.^(٨)

من كل ما سبق نستنتج أن تأثير الإنترنت يرتبط بالدرجة الأولى بنوعية خطابها كما يرتبط بعوامل أخرى خاصة بالمستخدم نفسه وبطرق الاستخدام. وهذه السلبيات والإيجابيات يدركها أصحاب القرار ومعدّو المواقع، وفي ما يتعلق بموضوع المرأة العربية يهمننا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الخصائص في تحليل المضمون عند مقاربتنا لأدوات وأساليب الجذب، فلعناوين ومقدمات المواقع دور كبير في توجيه البحث وخيارات التصفح على الإنترنت.

عناوين المرأة العربية ومقدماتها في مواقع البحث:

عندما يدخل المستخدم للإنترنت موقع البحث «غوغل» مثلاً، ويطلب البحث عن «المرأة العربية» باللغة العربية يطالعه ما يزيد على ٤٥٧٠٠ عنوان. معظم هذه العناوين وملفات ومقالات تتعلق بشبكات نسائية أو نشاطات نسائية متفرقة. وترفق العناوين بمقدمات تعطي للباحث فكرة عن مضمونها هي جملة تختصر الموقع أو تشرحه، مثل:^(٩)

تلك هي العناوين والمقدمات التي تطالع الباحث وتظهر على شاشة الحاسوب عندما يطلب «المرأة العربية». وباقي المواقع باللغة العربية عن المرأة العربية على هذا النسق، تتناول مواضيع متفرقة حول المرأة العربية: جمعيات ونشاطات ومؤسسات. وهي تتكاثر يوماً بعد يوم بفضل وعي الأطراف والجهات التربوية والثقافية والاجتماعية في العالم العربي لأهمية تواجدها على الإنترنت. وهي تعالج وتطرح قضايا

(٨) عبد الرحمن عزي، مصدر سابق، ص. ٣١.

(٩) شبكة المرأة العربية - المرأة العربية: تأكيد على شراكة كاملة في المجتمع.

- ثقافة: مؤتمر المرأة العربية والإبداع في القاهرة أصوات متعددة على أرضية الاختلاف.

- ابحاث في الجزيرة- نت- بحث تفصيلي- حقوق المرأة العربية بين الإفراط والتفريط.

- منتدى المرأة العربية- بوابة التكنولوجيا والمعلومات.

- المرأة العربية في قمة عمان تطالب بمنح النساء مساحة أوسع من الحرية...

- من ينفذ المرأة من سطحية... الخ

المرأة العربية بطرق مختلفة، وتتكاثر الجهود لخلق شبكات ومنتديات خاصة بالمرأة العربية على الإنترنت مثل «شبكة المرأة العربية» التي تنصدر اليوم المواقع الأخرى والتي انطلقت حديثاً لدعم قضايا المرأة على واحدة من أهم وسائل الاتصال العصرية.

كذلك تتدفق العناوين عند البحث عن المرأة العربية باللغة الإنكليزية "The arab woman"، يزيد عددها على ٧٤٠٠٠٠، وهي أيضاً عناوين متنوعة تتناول المقالات والنشاطات والمؤتمرات والمؤسسات والجمعيات، يجد الباحث فيها خيارات كثيرة وينفذ بواسطتها إلى العديد من مصادر المعلومات العربية والأجنبية. تلك مثلاً العناوين والمقدمات الأولى على مفتاح البحث «غوغل»: (١٠)

العناوين والمقدمات باللغة الفرنسية:

من أكثر مواقع البحث رواجاً على شبكة الإنترنت موقع «غوغل»، يتصل به يومياً آلاف المستخدمين لطلب مواضيع متفرقة. من هذه المواضيع ما يتعلق بالعالم العربي فيستخدم المتصفحون كلمات مفاتيح ترد فيها لفظة «عربي»، تتخصص بعض المواقع على الإنترنت بإحصائها وإحصاء عدد المستخدمين لها. من هذه المواقع نذكر الموقع الفرنسي «سيبركوا» Cyberkawa الذي ينشر بصورة دائمة إحصاءات حول المفاتيح الأكثر استخداماً للبحث على الإنترنت باللغة الفرنسية ويرد فيها كلمة «عربي». وتشير آخر إحصاءات «سيبركوا» إلى أن أهم الكلمات هي كلمة arabe «عربي» وحدها التي تأتي بالمرتبة الأولى، تليها musique arabe «موسيقى عربية» و prenom arabe «اسم عربي» ثم sexe arabe «جنس عربي» و femme arabe «امرأة عربية» و arabe nu «عربي عاري» و Institut du monde arabe «معهد العالم العربي» و apprendre l'arabe «تعلم العربية» و arabe gay «عربي شاذ» و calligraphie arabe «خط عربي» و chanson arabe «أغنية عربية»... وتليها سلسلة كلمات مفاتيح أخرى أقل استخداماً مثل «ترجمة عربية» و «لغة عربية» و «حصان عربي»، إلخ. (١١)

يأتي موضوع المرأة العربية بالدرجة الخامسة مما يعني أن عدد الباحثين عنه كبير وكذلك عدد المواقع. فماذا يجد المتصفح عندما يستخدم على الإنترنت كلمة «امرأة

(١٠) "Arab news" (أخبار عربية)، - "Arab woman: potential and prospects" (المرأة العربية: إمكانات وتوقعات)، - "Middle East studies on women" (دراسات الشرق الأوسط-نساء)، - "Woman diwan.com" (ديوان المرأة العربية)، - "Arab news features" (أخبار العرب: متفرقات)، وغيرها...

المصدر: "arab woman" (٦-٢٩-٢٠٠٣): <http://search.yahoo.com>

(١١) المصدر: <http://cyberkawa.fr/sites/arabe.php> (٦-٨-٢٠٠٣).

عربية» باللغة الفرنسية؟ من اللافت أنه يقع على عشرات بل مئات المواقع التي لا تحتوي إلا صور وأفلام الجنس والإباحية ونوادي اللقاءات. فنتائج التصفح تظهر أن المرأة العربية la femme arabe على الإنترنت باللغة الفرنسية لها صفات تجذب الباحث عن الصور والأفلام والمواقع الإباحية، وكأن كلمة «امرأة عربية» هي مفتاح التصور والخيال والغرائز وهذا ما تدل عليه، إلى جانب العناوين، مقدمات المواقع: عشرات بل مئات العناوين المرتبطة بالجنس والإباحية تطالع بالفعل الباحث عن «المرأة العربية» باللغة الفرنسية على شبكة الإنترنت. من بين مئة موقع من هذا النوع لا يجد الباحث أكثر من موقعين أو ثلاثة تتناول مواضيع عامة. يعني أن ما يزيد على ٩٥٪ من المضمون له علاقة فقط بالجنس والإباحية.^(١٢)

مما لا شك فيه أن المواقع غير الإباحية باللغة الفرنسية هي أقل عدداً من المواقع باللغتين العربية والإنكليزية وسنتناول عناوينها ومضامينها بعد محاولة الاطلاع على المواقع الإباحية التي تغزو ساحة البحث باللغة الفرنسية.

خصوصية المواقع باللغة الفرنسية:

معظم مواقع المرأة العربية على الإنترنت باللغة الفرنسية هي مواقع جنس تقدم مجاناً أو بثمنٍ للمستخدمين آلاف الصور والأفلام والقصص لنساء من المفترض أن يكن «عربيات» و«سمراوات» و«مميزات» و«رائعات الجمال» و«عاهرات» و«مغريات».

من هي المرأة العربية في هذه المواقع؟ هي المرأة رمز الجنس والإغراء، المثيرة للشهوة، «السافلة» كما تقدمها بعض هذه المواقع. فمواقع اللغة الفرنسية تركز على بعض الصفات لجذب زبائنها مستخدمة مثل هذه العبارات: «إن كنت تحب النساء

(١٢) «العناوين الأولى مع مقدماتها (باللغة الفرنسية) هي:

- امرأة عربية: صور لامرأة عربية سمراء
- جنس عربي: سمراء بورنو ونساء عربيات عاريات مجاناً
- امرأة عربية: صور لنساء عربيات
- امرأة عربية: جنس عربي مجاني
- امرأة عربية: هنا موقع ساخن جدا
- امرأة عربية: مغربية عارية
- امرأة عربية سمراء عارية
- امرأة عربية عارية رائعة الجمال
- صور امرأة عارية سافلة
- امرأة عربية: صور مجانية لسافلات بجوارب سوداء
- سمراوات وبلات سافلات...»

بجاذبية مميزة يجب أن تحب السمراوات»، «تعال لترى...إنها فعلاً امرأة عربية جميلة»، «أفضل صور لنساء عربيات سافلات»، «اكتشف فوراً ما كنت تشتتهي: نساء عربيات سافلات بسحر خاص»، الخ...

الكلمات المستخدمة لوصف المرأة العربية هي: «سمراء» beurette، «مغربية» sexy، «سافلة» أو «عاهرة» salope... إلى جانب استخدام مصطلح «الجنس العربي» sexe arabe وكأن للمرأة العربية صفات خاصة تجعل منها بضاعة ممتازة للتجارة بها.

ومن غير المستغرب أن تكون نتائج تصفح مواقع المرأة العربية على الإنترنت مشابهة لنتائج التصفح عن كل من المرأة الأمريكية la femme americaine والمرأة الآسيوية la femme asiatique والمرأة المغربية la femme maghrebine وحتى المرأة الأفريقية la femme africaine حيث مئات مواقع الجنس تتناول هذه النساء كسلع تجارية. وكأن المرأة العربية برأي معدّي مواقع البحث على الإنترنت كما كل النساء في العالم لها دور معين وصورة نمطية يستخدمها رواد هذه «التجارة» لجذب «الزبائن»^(١٣).

يختلف الأمر عندما يتعلق الأمر بالبحث عن المرأة الفرنسية la femme francaise التي لها في مواقع الإنترنت خصائصها ومؤسساتها ونشاطاتها فيجد الباحث عنها مواقع متنوعة، من مواقع أدبية وفنية واجتماعية...كذلك الأمر بالنسبة للمرأة الإيطالية أو المصرية أو اللبنانية أو السورية فالصورة النمطية تختلف هنا، ولتلك النساء صفحات تحتوي أخبار المؤتمرات والمؤسسات والنشاطات المختلفة. فالعناوين بالفرنسية الخاصة بالمرأة المصرية la femme egyptienne هي على مثال: «أساطير مصرية»، «حضارة مصرية»، «علم فلك مصري»، «التلفزيون المصري»، «حكم مصرية»، «طلاق على الطريقة المصرية» الخ..^(١٤) لسنا بصدد التوسيع هنا ولكن أردنا لفت النظر إلى خصوصية الخطاب عندما يتعلق الأمر بالبحث عن «المرأة العربية» باللغة الفرنسية على الإنترنت.

الإنترنت وقضايا المرأة:

من جهة أخرى، وبين عشرات مواقع الجنس، يجد الباحث باللغة الفرنسية أربعة مواقع من المئة الأولى تتضمن صفحات متفرقة عن المرأة العربية. الموقعان الأولان ينقلان أخبار المؤتمرات مثل: على موقع البحث «غوغل»، العنوان الأول هو لمقال

(١٣) المصدر نفسه. search results on google: la femme egyptienne, la femme syrienne, la femme libanaise.

(١٤) المصدر نفسه.

إخباري بحث حول قمة المرأة العربية في المغرب ودعوة الرئيس بوتفليقة للمشاركة فيها، نشر بتاريخ ٢ آب ٢٠٠١ على موقع «قابيل» المغربي Bouteflika au Sommet...de la femme arabe au Maroc^(١٥)

العنوان الثاني هو لمقالة حول قمة المرأة العربية بالأردن لكتابه ابرهاما درامه Ibrahama drame نشر على موقع «سفيرنت» SafirNet.info بتاريخ ٦ تشرين الثاني ٢٠٠٢^(١٦) يختصر الكلمات التي ألفت خلال المؤتمر من قبل ملكة الأردن رانية والسيدات الأُول للبنان والسودان والمغرب والمشاركات المنتدبات عن ١٨ دولة عربية. يقول الكاتب في المقالة إن الملكة رانية دعت في المؤتمر إلى إعطاء موقع جديد للمرأة العربية.

وتحت عنوان «عزل المرأة» يذكر أهم ما قيل في المؤتمر وهو أن الإسلام قد حمل وحده مسؤولية وضع المرأة في البلدان العربية والإسلامية، وأن العالم الغربي الذي اختلطت عليه الأمور نَسَبَ انتقاص الحقوق ونسبة التعلم المحدودة إلى الدين وأنه لا يمكننا إلا أن ندين السلوكيات الاجتماعية الممارسات الثقافية لبعض البلدان الإسلامية التي تبالغ في تطبيق الموانع بطريقة غير عادلة بين المرأة والرجل. وقد أثار النقاش على الساحة الغربية فيما يتعلق بمكانة المرأة العربية في المجتمعات الإسلامية الكثير من التساؤلات. وأفاد تقرير التنمية الإنسانية في البلاد العربية الذي نُشر من قبل برنامج الأمم المتحدة للتنمية بوجود تفاوت فاضح بين الرجال والنساء، وهذا ناتج عن تدني مستوى التعلم. وقد أشارت السيدة سوزان مبارك إلى التفاوت الوظيفي بين الرجال والنساء. ويختم التقرير بأن المحيط الاجتماعي للنساء في البلاد العربية قد أعطى بدون شك أسباباً للعالم لنقد وإدانة محيط ثقافي بأجمله. فقمة المرأة لها كمهمة شاقة إعادة وزرع «الحبة التي ربما لن تنضج إلا بعد عدة أجيال»^(١٧).

تشير وقائع المؤتمرات الواردة في هذه المواقع إلى الظلم الذي يلحق بالمرأة العربية في مجتمعاتها، كذلك يجد المتصفح صفحات تتحدث عن المرأة إما من خلال مقابلات أو إيراد إحصائيات عن واقعها. الموقع الثالث الذي لا يحتوي صفحات إباحية تضمّن مقابلة مع سكيّنة بوراوي مديرة مركز المرأة العربية للإعداد والدراسات «كوثر»، نشرت على موقع afrik.com التونسي بتاريخ الجمعة ٨ آذار ٢٠٠٢^(١٨).

(١٥) المصدر: <http://www.kabyle.com/article=39>

(١٦) المصدر: http://www.saphirnet.info/article_321.html

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) المصدر: <http://www.afrik.com/article4126.html>

تشير هذه الصفحات إلى اختلاف أوضاع النساء وإلى وجود فروقات كبيرة تعكس تعددية العالم العربي، وإلى أن النقطة المشتركة الأساسية بينهن هي انتماؤهن إلى ثقافة متأثرة جداً بالأديان. كذلك تركز المقابلة على وضع المرأة العربية في العمل، وتذكر أن نسبة العاملات هي ما بين ٢٥٪ و ٣٠٪ وهي من النسب الأدنى في العالم، ومعظمهن يعملن في قطاعات تقليدية. ويوصي تقرير الـ «كوثر» بإنصاف المرأة العربية في ظروف العمل وفرصه وبرامجه وقوانينه.

وفي قضايا المرأة العربية وحقوقها أيضاً الموقع الرابع الذي يطالع المتصفح بعنوان: «امرأة عربية من اثنتين أمية-الإسلام دين لا يساهم في تربية المرأة»، وهو لصفحات على موقع بلادي-نت bladi-net المغربي^(١٩).

هذه الصفحات تشير إلى نتائج إحصائيات اليونسكو عن البلاد العربية ومستوى التعليم فيها، فتؤكد أن ٥٠٪ من النساء أميات (مقابل أقل من ٣٠٪ للرجال)، و ٢٥٪ فقط منهن يعملن، بينما ٤٪ يشاركن في الحياة السياسية. وكما جاء في خطابات مؤتمر الأردن التي أتينا على ذكرها سابقاً، ينسب معدو هذه الصفحات تخلف المرأة العربية وأميتها إلى الدين الإسلامي وحده!

إضافة إلى هذه المواقع العامة عن المرأة العربية وقضاياها، يجد الباحث باللغة الفرنسية على الإنترنت مواقع تاريخية تنشر صوراً للنساء العربيات بأزيائهن التراثية: الموقع الأول «مغرب» maghreb^(٢٠) ينشر بطاقات بريدية تحمل صور النساء المغربيات على مر العصور، صوراً بالإمكان تكبيرها بشكل قياسي بكبسة زر. أما هذه البطاقات فهي لنساء شبه عاريات، يغطين شعرهن بأغطية مختلفة، ولا يغطي جسدهن سوى قطعة من القماش أو بعض الحلي، بينما الصدر عارٍ دائماً. ما المقصود من نشر هذه الصور على الإنترنت؟ هل هو التعريف بالأزياء القديمة، أم إظهار تحرر المرأة المغربية التاريخي، أم مجرد الإغراء؟

هذا الموقع «مختلف» شبه الإباحي يليه بعد ذلك عشرات مواقع الجنس ثم موقع تاريخي آخر:

«امرأة عربية: استخدام الحلي»^(٢١). هذا العنوان يرسل الباحث إلى موقع عن الأزياء اللبنانية التراثية، من بينها أزياء المرأة العربية. كل صفحة تحمل صورة لزي قديم مع شرح عنها، فيجد الباحث الأزياء المدنية والدينية. «امرأة من بيروت»، «امرأة

(١٩) المصدر: http://www.bladi.net/modules/newbb/sujet_13101_1.html

(٢٠) المصدر: <http://www.art-girot.com/postcards/menu-maghreb.htm>

(٢١) المصدر: <http://www.biblib.com/Textes/Costumes/index.htm>

العبدالله: نماذج من مواقع عن المرأة العربية باللغة الفرنسية على الانترنت

من طرابلس»، «امرأة من دمشق»، «عربي نبيل»، «امرأة أرمنية»... أما زي المرأة العربية فهذه العبارات يوصف في الموقع:

«النساء يستخدمن الحلبي من الأحجار الثمينة التي يزيّن بها الأذنين والذراعين والرّجلين، ولا ينسين أن يضعن في قدميها حلقات عديدة... يلفن رأسهن «بمحرمة» (mouchoir) تستخدم أيضاً لتغطية الوجه عند الخروج. قبل أن يتزوجن، تطلي النساء العربيات الوجه، الصدر، الذراعين، اليدين والأصابع». ويرافق هذا الوصف صورة للمرأة العربية بزيها القديم. هذا نوع من المواقع التاريخية النادرة عن المرأة العربية وهو يركز على استخدام المرأة للحلي وتحجّبها من الرأس إلى القدمين. أما المواقع العامة فهي قليلة جداً على الإنترنت.

الخلاصة:

الملاحظ أن النقص في مواقع المرأة العربية باللغة الفرنسية على الإنترنت، التي تتناول قضايا المرأة العربية أو تنقل أخبارها وإنجازاتها، كبير جداً، وبأن الحاجة ماسة لتكثيف جهود الترجمة للفرنسية والمجابهة بهذه اللغة بمواقع جادة. فصفحات الجنس والإباحية تغزو مساحة التصفح مما يطرح تساؤلات كثيرة ومخاوف حول سرعة انتشار هذه «التجارة» في وسائل الاتصال، وكل تحدياتها ومخاطرها بالنسبة لوسيلة عالمية كثيرة الخيارات والرهانات، لا بد من العمل على الاستفادة من استخدامها كي لا تتحول فيها الإيجابيات إلى سلبيات. لا سيما وأن وسائل الإعلام والاتصال الأخرى في المجتمع تسهّل عمل شركات الاتصال الكبرى والشبكات المسيطرة على الإنترنت بمخاطبة المرأة بما يكرس صورتها النمطية: «طبقة من الجلد تحتاج إلى تدليك بأنواع خاصة من الكريم»، أو «رموش تحتاج إلى تغذية وتقوية»، أو «شفاه تحتاج إلى طلاء بلون الورد»... مما قد يرسخ في أذهان الفتيات الناشئات تلك النظرة السطحية لكيانها ويصرفها عن مجالات تحقيق ذاتها لتكرسها لميادين ألصقت بطبيعة الأنثى، ويكرس في نفسها قناعة بأن العلم والعقل أمران ثانويان، وبأنها خلقت للمكانة التي أعطيت لها، ويرسخ في أذهان كل أفراد المجتمع هذه الصورة النمطية عنها، بما يخدم أهداف أصحاب المؤسسات الاتصالية، وأولها الكسب المادي إلى جانب أهداف أخرى قد تكون سياسية.

غير أن التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته المجتمعات العربية خلال العقود الأخيرة، ودرجة النضج الفكري الذي بلغته النساء العربيات بفضل انتشار التعلم ولو بنسب متفاوتة، علاوة على ما حصلت عليه المرأة من حقوق عززت مكانتها في

المجتمع، هي من العوامل الأساسية التي ربما تساعد على تغيير سلوك المشاهدين الذين أصبحوا ينظرون أكثر من قبل إلى المادة الإعلامية بمنظار الناقد المدرك لخفايا الكلمة والصورة ودلالاتهما.

نتيجة ذلك، حثت توصيات العديد من المؤتمرات على تنظيم استخدامات الوسائل الاتصالية الحديثة كالإنترنت، منها المؤتمر العالمي الرابع حول المرأة في بكين (أيلول ١٩٩٥) الذي دعا إلى زيادة مشاركة المرأة وتحسين فرصها للتعبير عن آرائها وصنع القرارات في وسائط الإعلام، وتشجيع تقديم صورة متوازنة وغير نمطية للمرأة في وسائط الإعلام والاتصال^(٢٢).

أردنا من هذه المقالة أن نشير إلى ما يجده المستخدم عن المرأة العربية عند اتصاله بشبكة الإنترنت ودخوله إلى مواقع المرأة العربية باللغة الفرنسية، لنسلط الضوء على النقص الكبير في المواقع الهادفة باللغة الفرنسية، ولنكشف الطرق التي يستخدمها من يسيطرون على شبكات الاتصال لاستغلال الخطاب عن المرأة وصورها لجذب المستخدمين والترويج «للمرأة/ السلعة».

أما أن الأوان لمشاركة النساء بكل فعالية في استغلال فرص الإنترنت الكثيرة بما يصحح صورة المرأة العربية في العالم ويعطي صورة واقعية عنها، وبما يساهم في التصدي لما يحاك ضدها وضد المجتمع العربي، عن طريق إنشاء مواقع هادفة باللغات الأجنبية، لا سيما الفرنسية، تحمل خطاباً جديداً نوعياً تشارك في صياغته المرأة نفسها؟

(٢٢) أنظر: "Femmes et medias a travers le monde pour le changement social",

<http://www.women action.org>